رفض الآخر في وسائل الإعلام الغربية
The other refused in the Western media

سعد عبد السلام

جامعة زيان عاشور، الجلفة. الجزائر، saadibnhazm@mail.com

تاريخ الاستلام: 2023/03/05 **تاريخ القبول: 2023/03/22** **تاريخ النشر: 2023/03/31**

الملخص

إن استخدام الدعاية الإعلامية للعنف وكراهية الغير، هي أهم سمة من سمات إعلام عصرنا؛ حيث بدأت الدعاية الإعلامية لتسويد صورة الخصوم، مثل ما قام به الإعلام الغربي ضد السياسة الألمانية مثلا، ومثله ما فعله الإستدمار الغربي بالدول التي احتلها وذبح أبناءها، تحت ذريعة همجية وبربرية وتوحش تلك الشعوب، ثم ما يحدث من تقتيل علني يومي في فلسطين ودول إسلامية أخرى، وما حدث سابقا من إبادات جماعية في رواندا والبوسنة وغيرهما، كل ذلك كان لمساهمة وسائل الإعلام الغربية الدور البارز في تأجيجه. ومع ذلك يكون مستغربا ومدهشا حقا، بل ومضحكا أيضا، أن ترى بعض الإعلاميين ينكرون وجود خطاب كراهية في وسائل الإعلام تلك. ولعله بتضاعُف وتضخّم عدد قنوات التواصل، أضحت أشكال وألوان وصور كراهية الآخر، تشهد انتشارا متزايدا عبر وسائل مختلف أنظمة التواصل التناظرية والرقمية على حد سواء، وبتزايد عدد المتصلين بشبكة

Summary

The use of media propaganda of violence and the hatred of others is the most important feature of the media of our time; Where the media propaganda of the Swedish image began, such as what the Western media against German policy, for example, and the same as what the Western destruction of the countries that occupied and slaughtered their children, did, under a barbaric and barbaric pretext and the brutality of those peoples, then what is happening in public daily in Palestine and other Islamic countries , And what happened previously from collective groups in Rwanda, Bosnia and others, all of this was the contribution of the Western media the prominent role in its funeral. However, it is really surprising and amazing, and also funny, to see some media people deny the existence of a hate speech in these media. Perhaps it is the double and inflated the number of communication channels, the forms, colors and images of hatred of the other are witnessing an increasing spread

الإنترنت ووسائل التواصل الأخرى، أصبحت هذه المنصات قنوات إعلام حيوية، لصناعة ونشر كراهية الآخر؛ خاصة في مضامين الخطاب الإعلامي الغربي.
الكلمات المفتاحية: وسائل الإعلام؛ كراهية الآخر؛ وسائل التواصل؛ الإعلام الغربي؛ حريّة التعبير.

through the means of different analog and digital communication systems alike, and with the increase in the number of callers on the Internet and other means of communication, these platforms have become vital media channels, to manufacture and spread the hatred of the other; Especially in the contents of the Western media discourse.
Keywords: Media; hatred of the other; media; Western media; freedom of expression.

مقدمة:

تبحث هذه الورقة في طبيعة الخطاب الإعلامي الغربي، حيث تكرّس وسائل التواصل الاجتماعي الغربية خطاب كراهية ورفض الآخر، وتساهم في انتشاره، وزاد الأمر خطورة، الفضاء الإلكتروني الذي أوجد حريّة مطلقة بلا ضوابط أخلاقيّة ولا قوانين رادعة، وجعل أبواب تلك المواقع مُشْرعةً، تتّسع لِكُلّ من يغذّي الكراهية. كما ساهم التطور التقني لوسائل الإعلام، بصورة كبرى في تفشي ظاهرة كراهية الآخر، حيث تم استقطاب شرائح متزايدة، للانضمام إلى جيوش عصرية مسلحة بالحقد والكراهية، لخوض معارك الاقتتال في الفضاء الإلكتروني الواسع. فاجتاح اليوم جميع دول العالم، ما اصطلح عليه "خطاب الكراهية"، وواجهت شتى الدول مستويات معقدة من ألوان الانتشار الواسع لهذه الظّاهرة، التي أنتجتها بوتقة الشر، وسوقتها وسائل الاتصال المعاصرة، بل وزادتها قدرة على النمو والانتشار. ومع تأجّج جذوة الوجود المتنامي للكراهية على منصات التواصل الاجتماعي، لاسيما أثناء الأزمات، زاد انتشار خطاب الكراهية، وهو ما آل إليه الحال في مجتمعنا المعاصر. لذا تتحمل وسائل الإعلام مسؤولية رئيسة في بث خطاب الكراهية، وكثيراً ما تقوم هذه الوسائل بإعادة نقل

وتدوير خطاب الكراهية؛ مستغلة ذلك تحت شعار حرية التعبير التي تصونها القوانين الدولية؛ وتحت غطائها تزايد الإعلام المتخصص في صنع ونشر الكراهية في ظلّ غياب شبه تام للإعلام المهني.

من الجليّ أن الإنترنت صارت مرتعاً خصباً لخطاب الكراهية، بسبب ما توفره هذه الشبكة من إمكانية النشر باسم مستعار أو مجهول؛ وتفشيه يكشف عن قصور كبير في التعامل مع المفاهيم العالمية المنتشرة عبر وسائل الإعلام، لذا كان من اللازم التصدي لهذا الخطاب؛ إنها معركة أخلاقية بامتياز. إنها شبكة معقدة تهيمن فيها علاقة أساسية هي علاقة "الأنا" و"الآخر"، لا علاقة "آخر" "بآخر". "الأنا والآخر" الذي ينتمي أصلا إلى الفكر الغربي. ولنتساءل: ما هو المعنى الذي يعطيه هذا الفكر لهذا المفهوم؟ فهذا الموضوع يفجّر تساؤلات عديدة منها: ما طبيعة الثقافة التي ينتجها هذا الخطاب الإعلامي الغربي ؟ وهل يمكن احتواء بث سموم خطاب الكراهية المتداول عبر وسائل الإعلام ومنصات التواصل بمواثيق الشرف الإعلامية؟ وهل هي ثقافة مؤسسة على التفاعل الايجابي وعلى التسامح والحوار، أم أنها ثقافة إقصاء وكراهية للآخر؟

1. جدلية العلاقة بين الأنا والآخر

تختلف علاقة الأنا بالآخر وتأخذ عدة مستويات، تحددها عدة أشياء، منها: زاوية الرؤية التي ترى بها الأنا الآخر، وتموضع الأنا بالنسبة إلى الآخر، وموقع الآخر من حيث الهيمنة والتسلط، والمصالح التي تحكم كل منهما، ومساحة الحوار التي يمكن أن تنشأ بينهما. وفي هذا الإطار يمكن استدعاء المقاربة الديكارتية التي تجعل من الأنا وعيا متعاليا لا يشترط الآخر وجوديا ومعرفيا، وقد سبق وأشرنا إلى مقولة سارتر" الآخر هو الجحيم"، وهذه النظرة أنتجت بنية فكرية أقصت الآخر، وأعادت إنتاج التراث الجمعي

للأنا. وبسبب هذه النظرة العدائية تنتقل العلاقة بينهما من مرحلة التعايش والسلام إلى مرحلة العدوان والصراع الجدلي يطول بنا الحديث ويتشعب لو أننا حاولنا نتتبع فكرة "الآخر" في الفكر الأوربي. ذلك لأن هذا الفكر يتمحور كله حول هذه الفكرة، من ديكارت إلى هيجل إلى سارتر وماركس ومن جاء بعدهم. ولنقتصر إذن على إشارات مقتضبة، من هنا وهناك، الهدف منها ليس استقصاء الموضوع بل مجرد إثارة الانتباه.

غني عن البيان القول إن لفظ "الأنا" في العربية المعاصرة إنما هو ترجمة لمعنى Le même بالفرنسية وego بالإنجليزية والألمانية. وكلمة ego لاتينية تدل على ما تدل عليه كلمة "ذات" في اللغة العربية حينما يقصد بها الشخص المتكلم. ومن هذه الكلمة اشتقت مصطلحات أخرى مثل égocentrisme وهو ما نترجمه اليوم بـ "التمركز حول الذات". ومنها égoïsme بمعنى "الأنانية" في الاستعمال اللغوي العام. أما في الاصطلاح الفلسفي فتدل على المذهب الفلسفي الذي يعتبر وجود الكائنات الأخرى، غير "الأنا" موجودات وهمية، أو موضوعات شكية على الأقل. ومن هنا أتت المذاهب الفلسفية المثالية idéalismes التي لا تعترف بأي وجود آخر غير تمثلات الأنا، فالعالم هو ما أتمثله وأتصوره أنا، وليس ثمة وجود آخر غيره. من هنا يتضح أن مفهوم "الأنا" مبني على السيطرة، سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعا لها، سواء كان هذا الموضوع طبيعة أو إنسانا أو... غير ذلك. ومن خلال هذا التصور لـ "الأنا" كمبدأ للسيطرة يتحدد موقع "الآخر" ودلالته ووظيفته في الفكر الأوربي، أي بوصفه موضوعا للسيطرة أو عدوا في قواميس الفكر الغربي ومصطلحاته الفلسفية. فـ"الآخر: أحد المفاهيم الأساسية للفكر، ويقال في مقابل **الذات** "Le même" أو "الأنا". أما هذه الأخيرة (الذات) فلا معنى لها سوى أنها المقابل، لـ"الآخر" Autre

تقابُلَ تعارضٍ وتضادٍ، أو أنها المطابق لنفسه المعبر عنه بـ: identité وهو ما نترجمه بلفظ "الهوية" أو "العينية"، أي كون الشيء هو هو: أي عين نفسه. وإذن فالغيرية في الفكر الغربي مقولة أساسية مثلها مثل مقولة الهوية. وفي هذا الصدد فإن كلمة: altérité أي الغيرية، ذات علاقة اشتقاقية بالفعل altérer والاسم: altération وتعنيان تغير الشيء وتحوله إلى الأسوإ (تعكر، استحالة، فساد)، كما ترتبطان اشتقاقا بكلمة: alternance التي تفيد التعاقب والتداول. ومعنى ذلك أن مفهوم "الغيرية" altérité في الفكر الغربي ينطوي على السلب والنفي؛ بل و يمكن القول إن ما يؤسس مفهوم الغيرية في الفكر الغربي ليس مطلق الاختلاف، كما هو الحال في الفكر العربي، بل الغيرية في الفكر الأوربي مقولة تؤسسها فكرة "السلب" أو النفي: La négation، ف "الأنا" لا يفهم إلا بوصفه سلبا و نفيا، لـ "الآخر".

2. مصطلح خطاب الكراهية

يعتبر مصطلح "خطاب الكراهية" "Hâte speech" مصطلحا إشكاليا بمعنى الكلمة، حيث لا يوجد له تعريف موحّد، ولا له معنى محدد ليتم اعتماده عالميا. ذلك أن الكراهية: هي حقد وشعور بالضغينة تجاه شيء ما؛ وكل كلام يثير مشاعر الكره، وينادي ضمناً أو علنا بإقصاء فرد أو أفراد، إما بالطرد أو الإفناء ... كما ينطبق على كلّ خطاب أو عمل أو قول علني أو تعبير استعلائي يُحرّض على العنف أو يُمَهِّد له، هو خطاب كراهية.(زهرة، 2014)

مع أن موضوع خطاب الكراهية حظي باهتمام بالغ من النّاحية القانونيّة، إلا أن هذا الاهتمام انحصر في تقديم الحجج وتقييمها، لدحض مبرّرات خطاب الكراهية،

بدلاً من تحليل المصطلح نفسه؛ ويبدو أن الوصول إلى تعريف شامل لها المصطلح، أضحى أمرًا صعبًا ومعقّدًا، نظرًا لاشتماله على مفاهيم متشعّبة. فهذا المصطلح لم يتمّ تناوله صراحةً في المواثيق الدّوليّة، إلّا من باب حظر أشكاله أو شجبه فحسب، والنّصوص القانونيّة والاصطلاحية تؤكد أن خطاب الكراهية مصطلح حقوقي فضفاض. عرّفه البعض على أنه" أنماط مختلفة من أنماط التعبير العام التي تنشر الكراهية، أو التمييز أو تحرض عليها وتروّج لها، ضد شخص أو مجموعة ما من حاملي صفات معينة، فكل خطاب يعبّر عن مواقف متحيّزة اتجاه جنس أو عرق أو دين أو رأي سياسي أو أي عامل آخر ... فهو خطاب كراهية، وهنا تكمن خطورة خطاب الكراهية، خاصة إذا وجدت منابر إعلامية أو وسائل اتصال تروّج له وتزيد من انتشارها.(اليونسكو، 2015) ومن ثمة انتشرت في الآونة الأخيرة مصطلحات مثل: الإسلاموفوبيا Islamophobie ورهاب الأجانب xénophobie وغيرها ...

3. تجليات خطاب كراهية الآخر في وسائل الإعلام الغربية

إن الوقائع والمعاينات تثبت أن وسائل الإعلام تكرّس خطاب الكراهية، وتتحمل مسؤولية رئيسة في بث خطاب الكراهية بصورة متواصلة، للمشاهدين والمستمعين والقرّاء، حيث تزايد الإعلام المتخصص في نشر الكراهية والتحريض على العنف والإقصاء؛ مع أطراف تدعم وسائل الإعلام القائمة على نشر الكراهية، وتقوم بتمويلها وتغذيتها، غايتها تخدير الشعوب وتغييب وعيها، وإشغالها عن حالة الشقاء والبؤس التي تعيشها، وبهدف إبقاء الشعوب بيادق تتقاتل، ليظل اللاّعبون الرئيسيون متحكمين بمصيرهم؛ في ظلّ غياب شبه تام للإعلام المهني. وكثيراً ما ترتكب وسائل الإعلام أخطاءً في إعادة نقل وتدوير خطاب الكراهية، وهو ما حدث إبّان الاعتداء على

المسجد في نيوزلندا، إذ لم تكتفِ تغطيات إعلامية آنذاك، بإيراد بعض مقاطع خطاب الكراهية الذي استخدمه منفّذ الهجوم، عبر صفحته على موقع تويتر، بل أفردت بعض تلك التغطيات كامل المساحة لنقل ما وَرَدَ فيه من كلمات كراهية ممّن يؤيّدونه، وتنقل أخرى ما كتبه منفذ الهجوم على أسلحته، وتبذل جهداً لافتاً في الإحالات التاريخية لحقبة مسلمي الأندلس، وهذا كلّه ينطوي على مخالفات مهنية جسيمة؛ إذ أنّ فيه تكريسا لما يريده أصحاب هذا الخطاب، من ترويج للفوضى والأحقاد، وأفعال قد تصل حدّ الإيذاء وإزهاق الأرواح، وحسبنا هنا تذكّرُ مجازر رواندا، التي راح ضحية نشر الإعلام لخطاب الكراهية فيها عام 1994م حوالي 800 ألف قتيل خلال مئة يوم فقط، ليمْثُل صحفيون أمام محكمة الجنايات الدولية للمرة الأولى بهذه التهمة.

لقد أمكن للتقنية الإعلامية أن تتيح حشد النشطاء، المطالبين بالكراهية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وأن تُستخدَم هي ذاتُها لأغراض التنظيم والتجنيد، وخاصة في ظل تزايد أعداد الأشخاص المتصلين بشبكة الإنترنت. وقد أصبحت هذه المنصات قنوات تواصل حيوية، يتيح لها التدفق المستمر للتبادل المعلوماتي الفوري وغير المنقح، إمكانية استغلال وتحويل هذه المعلومات إلى سلاح تحريض العامة، أو تضليلهم والتأثير عليهم، عن قصد أو عن غير قصد، على نحو يؤدي إلى عواقب خطيرة. ومن أكثر الاتجاهات الباعثة على القلق، الوجودُ المتنامي لخطاب الكراهية على منصات التواصل الاجتماعي لاسيما أثناء الأزمات، والأوضاع المتوترة على الصعيد السياسي أو الاجتماعي؛ بينما تمنح وسائل التّواصل الاجتماعيّ، قوّةً فاعلةً لحريّة التّعبير وتفسح المجال لتعالي الأصوات التعصّب والتّحيّز تحت نطاق حرية التعبير عن أرائهم.

فثمة خطابات تدعو للعنصرية والتحريض وتحقير الآخرين، الذي يُبث على وسائل الاتصال. وعادةً ما تؤدي مشاعر عدم التسامح إلى توليد خطابات مفعمة بالكراهية وانتشارها، قبل أن تتضاعف وتتضخم عبر قنوات التواصل، وتتردد أصداء هذه الرسائل عبر أنظمة التواصل التناظرية والرقمية على السواء، ولديها قدرة خاصة على تأجيج جذوة التوترات القائمة بين الجماعات المختلفة، وإشعال فتيل العنف وارتفاع عدد الهجمات ضد الخصوم، ليتأكد بذلك ارتباط الخطاب التحريضي عبر الإنترنت، وتنتشر خطابات الكراهية دون سقف في الفضاء الرقمي. كما يؤثر استخدام الأدوات الرقمية بهدف تشويه الحقائق، ونشر خطابات مثيرة للفتن، تأثيرًا قويًا على الأزمات والنزاعات حتى قبل عصر التحول الرقمي، وقد شكَّلت تقنية الاتصالات عبر الوسائل المطبوعة والمسموعة والمرئية قوى راسخة محرِّكة للعنف، ويشهد التاريخ الحديث على بعض الأمثلة المروعة على استخدام الدعاية وخطاب الكراهية بما أسفر عن حدوث أثار مهلكة، ومن أشهر الأمثلة على ذلك: الإبادة الجماعية في رواندا والبوسنة وغيرهما ... مثلا.(الوحش، 2017)

غالبا ما تتّسم الخطابات حول الآخر عموما، بما فيها تلك التي تلتحف بلحاف الموضوعية العلمية، والترّفع عن التمركزات العرقية والثقافية، باختزاله في كمٍّ من التصورات الذهنية القبلية التي لا تحيل إلى حقيقته، بقدر ما تكشف عن حقيقة الذات الواصفة. فخطاب الإعلام الإستعلائي هو تعبير فوقي، يكشف عن العقلية الإقصائية التي يكرسها الإعلام في معظم وسائله حيث تكون له كل الفرص، لممارسة أساليب التضليل والتنميط والتشويه، موسّعا بذلك دائرة الكراهية، من خلال توظيف مصطلحات وعبارات، تفتقد إلى أخلاقيات الممارسة الإعلامية، وبلغة تحريضية لا تتردد في نزع صفة

الإنسانية عن الآخر، بإطلاق صفات وضيعة شنيعة عليه؛ وإبرازه باعتباره نموذجا للتعصب والتّطرف؛ ويبدو أن الأمر لا يقتصر على النخب الإعلامية المحكومة بعقلية التسويق التجاري، البعيد عن شروط الممارسة المهنية الصحفية، بل تعداه إلى نخب حاضرة في الفضاء الإعلامي.(سعيد إدوارد،2011، ص ص 67-173)

يبدو أن الإنترنت صارت مرتعاً خصبا لخطاب الكراهية، بسبب ما توفره الشبكة من إمكانية النشر بأسماء مستعارة أو مجهولة. ولا يمكن حصر عدد الحالات التي ساهم فيها الإعلام، فالفيسبوك وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت مواقع خصبة للتنمّر والهجوم اللفظي الذي يقع ضمن دائرة خطاب الكراهية. فمثلا سجلت سنة: 2012 جريمة في كل 40 دقيقة مرتبطة بالموقع، يتعلق الكثير منها بخطاب الكراهية. ومع أن كلا من: غوغل وتويتر وفيسبوك ومايكروسوفت، قد وافقت من بتاريخ: 2016/5/31 على مدونة ضبط السلوك، بحيث يشمل خطاب الكراهية، والذي ورد فيه: لا يُسمح بالمحتوى الذي يهاجم الأشخاص على أساس العرق أو الديانة أو غير ذلك، إلا أنها في الوقت ذاته سمحت بالتعبيرات التي تُنشر على سبيل الدعابة أو السخرية من الأفراد والمعتقدات؛ والتي يعتبرها البعض تهديدًا أو هجومًا، فيتضمن المحتوى مثلا: النكات والأعمال الكوميدية والرسوم المسيئة كالتي قُصد بها نبيّنا عليه الصلاة والسلام، كلمات الأغاني وما إلى ذلك؛ غير أن التناقض يتضح سريعاً في تعريف فيسبوك لخطاب الكراهية، إذ السؤال المطروح: ما معيار التعبيرات الساخرة من التعبيرات الجدية ؟ فيقال لنا: إنه بالطبع يعتمد على النوايا، لكن النوايا جانب لا سبيل للوصول إليه، أو التحقق منه؛ حسب الدراسات اللغوية في تحليل الخطاب، والتي تخبرنا

بأن المتحدثّين لا يرتدون نواياهم، أي أنه لا يمكن معرفة النوايا من الكتابات على الفيسبوك مثلاً ... إنها مهزلة ورب الكعبة.

4. التأثير البالغ لمنصات التواصل الاجتماعي على خطاب كراهية الآخر

تساهم وسائل التواصل الاجتماعي في نشر خطاب كراهية الآخر بطرق منها:

- نشر معلومات مضللة عن الغير.
- تهويل العنف والمشكلات الاجتماعية.الصادرة عن الآخر.
- المساعدة على نشر العنف المجتمعي اللفظي بشتى وسائل منصات التواصل.

فالفضاء الإلكتروني أوجد حريّة مطلقة بلا ضوابط أخلاقيّة ولا قوانين رادعة، وجعل أبواب تلك المواقع مُشرعةً تتّسع لِكُلّ من يغذّي الكراهية والحقد على الآخر، وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة أصبح الفضاء الاجتماعي والثقافي مُهَيّئاً لانتشار خطاب الكراهية، بل وأصبح هذا الخطاب الوسيلة الأولى من وسائل الاستقطاب السياسي عبر وسائل التواصل، ويشكّل العنصر الأساس في تنامي الكراهية واللّاتسامح في علاقاتنا الإنسانية والحضارية المعاصرة.

5. ازدواجيّة معايير الإعلام الغربي في تعامله مع خطاب الكراهية

تستغل بعض الأطراف حرية التعبير التي تصونها القوانين الدولية، للاعتداء على كل شيء، فحتى الخالق تبارك وتعالى، والرسل والأنبياء والأديان، لم يسلموا من شرور هؤلاء الإعلاميين، ولعل الإشكاليّة المثارة هي حول حدود وضوابط حريّة وسائل الإعلام في التعبير.

رصاصة شارلي إيبدو مثلاً: فبموازاة الحديث عن قوانين المطبوعات التي تقيّد النشر خصوصًا في الإعلام الالكتروني، ولأن الموقف من أيّ حدث يتبع لطرف ما، وكلّ

هجوم على الخصم في القاموس هو حريّة، وسنلاحظ أنّها لا تعدو كونها امتداداً لخطاب الكراهية السائد، وللتمييز والإقصاء المتبادلين على أساس طائفي أو غيره ... يضاف إلى ذلك الكمّ الكبير من الأذى اللفظي المتعمّد، وانتهاك الخصوصيّة الأفراد والجماعات. وليس البحث في حدود حريّة التعبير بحثًا مستجدًّا، خصوصًا أنّ كلّ التشريعات في العالم تكلمت عن عقوبات الذمّ والتشهير والتهديد سواء كان كلاما أو كتابة؛ وفي حالات كثيرة يخشى المدافعون عن حريّة التعبير أن تستخدم تلك التشريعات كأداة لقمع الأصوات المعارضة، أو لارتكاب ملاحقات كيديّة بحقّ أفراد أو مجموعات ما ... وتشكّل مجزرة قتل صحافيّي ورسامي مجلّة "شارل إيبدو" الفرنسيّة عام 2015 محطة مفصليّة في النقاش حول إشكاليّة حريّة التعبير وخطاب الكراهيّة في العصر الرقميّ، فمن أطلق النار على رسامين مثيرين للجدل، اتهمت مجلّتهم في مناسبات عدّة بتبنّي خطاب عنصري ضد المسلمين، فتح برصاصته الباب على نقاش واسع، دفع المعنيين للتفكير بأبعاد تلك السخرية، وتحدث عن الحدود الفاصلة، التي تتقاطع فيها حرية التعبير وخطاب الكراهية فهذه المواقع نتحدث عنها باعتبارها أهم مواقع التواصل الاجتماعي حاليّا.(معتوق و شريهان، 2012)

6. أبرز مطايا صناعة الكراهية: الادعاء بحريّة التعبير

بحسب الأونيسكو تمثّل حرية التعبير حقًّا أساسيًا بنص المادة: 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، لكن متى يكون بالوسع اعتبار خطاب ما منطوياً على كراهية، ذلك أنّ السياق الذي يجيء فيه الخطاب قد يحدّد مدى إمكانية اعتباره خطاب كراهية وقد لا يحدد. فنشر الكذب والافتراءات والتلاعب بالعقول، وتزوير الحقائق وتزييف البيانات، هي أسلحة تفتك ببنية المجتمعات وتنتمي للجيل الرابع، ولا تكلّف الدول

مالاً ولا جهداً. وفي الدول الغربية يدور الحديث عن خطاب الكراهية في سياق مقارنته بحرية التعبير، حيث تجرّم بعض الدول الغربية استخدام تصريحاتٍ أو رموز عنصرية بعينها ... لكن في عيون قضاء الأنظمة الديكتاتورية ترتبط حرية التعبير وحق إبداء الرأي بخطاب الكراهية. ففي البلاد العربية تهدر حقوق أساسية مثل: الحق في الحياة والحرية والمساواة والكرامة ... ومن يطالب بهذه الحقوق يصنّف حديثه عنها، ضمن دائرة خطاب الكراهية للسلطة الحاكمة. ولعلّ الثغرة الكبرى حتى اللحظة، هي غياب القوانين الرادعة؛ إذ لا يوجد نصّ قانوني يرسي أطراً واضحة لخطاب الكراهية ويفرض عقوبات عليه؛ بل والأخطر في كتابات هؤلاء الإعلاميين، أنها تتوفر على وسائل تسويقية ودعائية هائلة، تتمثل في وسائل الإعلام الحديثة، بترسانتها التقنية الهائلة؛ التي مكنتها من الوصول الى أكبر عدد من الأفراد. فلوسائل الإعلام تأثير بالغ في تشكيل تمثلات الجماهير ورؤاهم للعالم، إلا أننا في نفس الوقت لا نقلل من الأثر الذي تحدثه هذه الوسائل في أذهان الأفراد، خاصة فيما يتعلق بمواضيع ذات حمولة إيديولوجية وقيمية كبيرة، متمثلة في بعديها الفكري والعرقي.

7. تحّريض وسائل الإعلام الغربية على كراهية ونبذ الآخر

شكلت وسائل الإعلام الغربية أداة مهمة لبث خطاب كراهية الآخر ، إذ أصبح يُستخدم كامتداد للمعارك التي تدور رحاها على ارض الميدان وفي ساحات القتال، حيث جعلت من: فيسبوك وتويتر ويوتيوب وتليجرام وغيرها ... ساحات رئيسة لها، ذلك لأن تأثيرات الإعلام الرقمي السلبية في حالة النزاعات المسلحة، أشد وطأةً وأكثر تأثيرا كما تقدم، في تأجيج النزاع وبث خطابات الكراهية، والتحريض على العنف. فما يحدث الآن للمسلمين في الصين وميانمار والهند وغيرها ... من تهجير وإبادة، يُعدّ مثالًا

صارخا على إثارة الإعلام الغربي للتوترات العرقية والدينية، والجميع يعلم أن فيسبوك وغيره من منصات الاتصال بمثابة امتداد لساحة القتال، يجب التفوق فيها والفوز بالمعركة. كما تعتبر صناعة الكراهية أحد أهم الأسلحة المستخدمة في الحروب النفسية، بل وأهم أدوات نظام تفكيك التماسك الاجتماعي؛ فالحروب العسكرية تستهدف حياة البشر وممتلكاتهم المادية، فيما الحروب النفسية تستهدف السلوك الاجتماعي؛ من خلال التأثير على أفكارهم وحالتهم المعنوية. فهي تصنع الكراهية عبر نشر الأكاذيب وتزوير الحقائق، والتلاعب بالعقول والافتراء على الآخرين، ثم تتحول الكراهية إلى أفكار وعقائد، قبل أن تصبح سلوكاً عدوانياً عنيفا.

فمثلا: كانت جرائم الإبادة الجماعية في رواندا، قائمة على خلفية التحريض الإعلامي الرواندي، وعلى خطابات الكراهية التي تبنّتها وسائل الإعلام باستمرار، لتعزيز أفضلية طبقة الهوتو على التوتسي، ومعظم الشعوب تستمع لما يقوله إعلامها. وهذه الصناعة تجد لها أسواقاً إعلامية تروّج لها كثير من الدول؛ بل هي صناعة تحظى برعاية وغطاء الأنظمة المستبدة، التي تمتلك مشاريع جيوستراتيجية، لتحقيق أهداف سوسيو-سياسية. فما تقوم به الأنظمة الاستبدادية بشكل ممنهج، يشكل مناخا مناسبا لتنامي خطاب الكراهية، ويلجأ المتنفذون في السلطة إلى تطويع وسائل الإعلام لصالحهم، بغية إسكات أيّ انتقاد، فالمسؤولية هنا تقع على الدولة لامتلاكها وسائل الإعلام؛ كما تقع على الإعلاميين المشاركين لهم في جرائمهم ...

وهو في مجمله إعلام ذو إنتاج اختزالي، متحيّز في رؤيته، ومتأثر بعقلية الإقصاء والاستعلاء واختصار الآخر في مجموعة من الكليشيهات والنمطيات. إنها ثقافة" قبْلية منمطة عن الآخر، تعيد صياغته وفق وحدات ذهنية، تفرغه من حقيقته، وتصنع له

وجودا متناسقا ومتناغما مع رؤيتها له. وتفرض القبليات نفسها كأساس "معرفي" في تصور الآخر، وهو بعد هذا يغلب عليه الطابع السجالي "المواجهاتي" ذي النزعة الإقصائية.

8. نماذج من صناعة الإعلام الغربي للكراهية

إن الجانب الأسوأ للكراهية هو التحريض الإعلامي على العنف، ليصبح في صورة حروب وجرائم ضد الإنسانية، فالدول الغربية الاستدمارية مثلا، عملت على تلطيخ صورة المسلم، وتعززت صورة التطرف في إعلامها، مما أحدث ما يعرف بظاهرة الإسلاموفوبيا ... وثمة صناعة الكراهية داخل البلد الواحد بهدف إشعال الفتن والصراعات، في ظلّ حالة الجهل التي تحكم واقع المجتمعات. وفي القارة الأمريكية التي وصلها المستكشف كولومبس ارتكب الأوروبيون جرائم إبادة وحشية بحق السكان الأصليين –الهنود الحمر–، وبحق السود وغيرهم، ويزعم إعلامهم أنهم قاموا بتحريرهم ودعمهم، وهذا تماماً ما يكشف زيف قيام أميركا وأوروبا على قيم العدالة والمساواة والحرية. وفي البوسنة والهرسك، ارتكب الصرب أفظع المجازر في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، لأسباب دينية وعرقية تتعلق بالكراهية، إنها مجزرة ذهب ضحيّتها أكثر من ثمانية آلاف مسلم بوسني العام 1995، وقد حصلت على مرأى من وسائل الإعلام العالمية وقوات حفظ السلام الأممية.

9. صور وأشكال متداولة لكراهية الآخر عبر وسائل الإعلام الغربية

- تشويه الحقائق أو تكذيبها.
- النظرة الدونية للآخرين بسبب الاختلاف في اللون أو الدين أو المذهب أو الجنس أو ...

- كراهية قيم الآخرين واحتقارها وإقصائهم.
- عدم القبول بالاختلاف مع الآخرين.

10. الآثار الناجمة عن انتشار خطاب الكراهية

يطرح خطاب الكراهية مخاطر جسيمة، حيث انه يضعف المجتمعات ويدمرها، كما يترتب عليه:

- يعمل على زرع بذور الخوف والكراهية وانعدام الثقة.
- يقتل روح الإبداع في المجتمع، مع هجرة الكفاءات.
- يفقد المجتمع تماسكه الداخلي فيصبح ضعيفاً أمام الأزمات.
- يهدد وحدة النسيج الاجتماعي، ويقسم المجتمع إلى جماعات غير متجانسة.
- يساعد على انتشار التطرف والعنف داخل المجتمع.

11. قوانين مكافحة خطاب الكراهية

شملت قوانين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نصوصا عديدة، تمنع استخدام عبارات الإهانة والإساءة للأفراد والجماعات؛ ولعل أبرزها ما ورد في ذلك الفقرة 2 من المادة: 20 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية؛ إذ تُحظر بموجب القانون أيّ دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية، أو أي دعوة تُشكل تحريضاً على التمييز أو العداوة أو العنف ...

كما ورد في مادته الثانية: نص على حق الفرد في التمتع بكافة الحقوق والحريات، دون أي تمييز بسبب اللون أو الجنس أو الدين أو أيّ تمييز لسبب آخر... وأكد الإعلان على أن كل الناس سواسية أمام القانون.

كما جاء في نصوص المادتين:7 و 19 من قوانين العهد الدولي للحقوق السياسة والمدنية، ضبطٌ لما شملته حرية التعبير، وهو أن أيّ دعوة إلى الكراهية القوميّة والعرقيّة والدّينية ... تشكّل تحريضًا على التّمييز والعداوة والعنف؛ ثم جاءت المادة 20، لتحظر بشكل مباشر أي دعوات تحريضية أو عنصرية أو كراهية.

1- تحظر بالقانون أيّ دعاية للحرب.

2- تحظر بالقانون أي دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية.

3- كل دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية تشكل تحريضا على التمييز.

علاوةً على ذلك، ميّزت هذه الاتّفاقية بين التّمييز العنصريّ (racial discrimination) وخطاب الكراهية العنصريّة (racial hate speech) ووفقاً للاتفاقية الدولية للقضاء على أشكال التمييز العنصري، فإن كل نشر للأفكار القائمة على الكراهية العنصرية، وكل مساعدة لأنشطة عنصرية أو تمويلها، يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون. وقد قامت مفوضية للأمم المتحدة بتمويل مؤتمرات، لمناقشة مدى انطباق حرية التعبير على فضاء الإنترنت، وشاركت منصات: غوغل ومايكروسوفت وفيسبوك وتويتر في مدوّنة السّلوك، حيث التزمت جميعها بمراجعة المحتوى المنشور إنْ كانت تتضمّن خطاب كراهية، وكذلك مختلف الإشعارات والخدمات المعروضة عبر صفحاتها ومواقعها، ووعدت بإزالتها في مدّة لا تقلّ عن 24 ساعة.(الأمم المتحدة، 1966)

تطلّبت التشريعات الموضوعة لحماية النظام العام، في كثير من البلدان، حدوداً أعلى في حال انتهاكها، لذلك لم يتم تطبيقها بصورة منضبطة في أكثر الحالات؛ فمثلاً لم يُحاكم في أيرلندا الشمالية بحلول عام 1992 سوى شخص واحد، بتهمة خرق

تشريع من هذا القبيل؛ أما القوانين الموضوعة لحماية الكرامة الإنسانية، فحدود تطبيقها أدنى بكثير من قوانين النوع الأول، فعادةً ما يجري تطبيقها في بلدان مثل: ألمانيا والدنمارك وكندا...

بما أن تعريف خطاب الكراهية ليس معقدًا فحسب، بل هو مثير للجدل أيضًا، ونظرًا لاستخدام مصطلحات متحيّزة مثل: العرق واللّون والفئة والدّين... فقد أضحى كلمات مطاطيّة، تتيح للتفسيرات المختلفة والمتناقضة أن تضيق وتتسع بحسب تقدير كل فئة، وكل حكومة وكل جماعة؛ ومع عدم توافر تعريف قانوني دقيق لـ"خطاب الكراهية"، فقد برزت في هذا السياق إشكاليّة تتعلّق بالمعطيات الّتي تجعل من خطاب الكراهية جريمةً يعاقب عليها القانون؛ خاصة في ظل تداخلها مع مصطلحات أخرى مثل: حرية التعبير.

12. المعايير التي يتم من خلالها تجريم خطاب الكراهية

لتقييم مستوى الكراهية، وكمحاولة للوصول إلى فهم شامل لظاهرة خطاب الكراهية في وسائل الإعلام؛ يؤخذ الحكم على الخطاب وطبيعته من منظور سلوكيّ، ومن ثمّ التّفكير في عواقبه المحتملة؛ لكن ما يلفت الانتباه هنا، هو الحدّ الأعلى الّذي قد تصل إليه هذه السّلوكيّات، حيث أنه قد يتحوّل الخطاب إلى فعل إجراميّ يهدّد الحياة، وتأتي تلك المعايير التي يتم تجريم خطاب الكراهية إذا توفر في أحدها الآتي:

1- التحريض على العنف.

2- التحريض على التمييز.

3- التحريض على العداوة. (مركز هردو، 2016، ص 9)

ويمكن تطبيق إطار الحظر على خطاب الكراهية إذا توفرت فيه ثلاث صور:

- **سيّاق التعبير:**

أي النظر للسياق التاريخي لوضعية الموجه ضدهم الخطاب، وما إذا كانت هناك صراعات تاريخية أو معاملة عنصرية ضد هؤلاء الأفراد، أو تلك المجموعات، فيمكن الحكم من السياق على مدى خطورة التحريض وآثاره؛ وعلى سبيل المثال: إذا ما تم التحريض داخل دولة كجنوب إفريقيا على التمييز العنصري، والتي لها تاريخ من العداء ما بين ذوي البشرة السمراء والبيضاء.

- **قائل التعبير أو المتحكم في انتشاره:**

يعني ذلك، أن تقاس مدى سلطة وتأثير صاحب التعبير في الجمهور، فإذا كان شخصية عامة أو يشغل منصبا هاما ونحوه... وتصبح دعوته أو تعبيره ذات احتمال، للانتشار الواسع بين الجمهور، كما يمكن قياس درجة وعي قائل التعبير وخطورته.

- **نية قائل التعبير:**

يمكن اعتبار التعبير تحريضا، إذا ذهبت نية صاحبه إلى التحريض على العنف والكراهية، أو دعوته إلى أعمال تمييزية. وعنصر النية من الأمور التي يصعب إثباتها، ما لم يعترف بها صاحبها. لذا ذهب القانون إلى وضع محددات وقرائن، للاستدلال على نية الفاعل، واستقر قضاء حقوق الإنسان على محددات، هي لهجة صاحب التعبير وهدفه من التعبير، وتكراره لإثبات نواياه التحريضية من عدمها.

- **محتوى التعبير:**

هنا يجب فحص محتوى التعبير، بربطه بقائله وبالفئة الموجه لها، والموجه ضدها ونطاق التعبير، وهل استخدَم التعبير لهجة عنيفة مباشرة، وهل المحرض كان واضحا بشكل مباشر أو غير مباشر، مع مراعاة أن بعض الخطابات لا يمكن تطبيق معايير التحريض عليها، مثل التعبير الديني والفني، والأبحاث العلمية والحملات الانتخابية أو المناظرات السياسية.

- **حجم التعبير وقدرته على الانتشار:**

لكي يتم اعتبار التعبير تحريضا، يجب أن يتم توجيهه علانية للجمهور بشكل مباشر وعلني، لذا فقد وجّهت أمام دائرة الاستئناف عام2007م تهمة ارتكاب الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية لمحرر مجلة: "كانغورا" ومالكها، والتي خصصت أو وظفت للكراهية، ونشر رسوم كاريكاتورية لنساء التوتسي، ومقالات مثيرة للكراهية، تدعو إلى تفضيل طائفة **الهوتو** على **التوتسي**، لهذا عدّت المحاكمة الأولى تقريبا في القانون الدولي التي عاملت الخطاب التحريضي تحت اسم: "**إعلام الكراهية**" لكونه يمثل جريمة ضد الإنسانية.(مركز هردو، 2016، ص 10،11)

13. الجدال حول مشروعية تجريم خطاب الكراهية

وبعد، فماذا عن تحقيق التوازن بين حرية التعبير وخطاب الكراهية ؟ أو ما هي الحدود الفاصلة بين حرية التعبير وخطاب الكراهية" ؟ ونظرا لانعدام الاتفاق على تعريف محدد لخطاب الكراهية، ليشكّل إطارا أو نطاقا للحظر القانوني، فقد ثار جدال حول مشروعية تجريم خطاب الكراهية، وحول مدى تعارض المفهوم الواسع لخطاب

الكراهية، مع حرية التعبير المكفولة بالمواثيق الدولية، ومحمية بموجب القانون الدولي من خلال المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. فقد اقتصر خطاب الكراهية على ما يمكن أن يسمّى اليوم "خطاب العنصريّة"، الّذي يغطّي جميع أشكال التّعبير الّتي تنشر أو تحرّض أو تشجّع ... ككره الأجانب ومعاداة السّاميّة، أو اضطهاد الأقلّيّات والمهاجرين ونحوها... وكافة أشكال الكراهية لتشمل كل محتوى ينشر ويبرر، أو يحرض على الكراهية العرقية ومعاداة المهاجرين، وكل الأشكال الأخرى للكراهية القائمة على عدم قبول الآخر فحسب؛ لتستغل دول وجماعات هذا المفهوم الفضفاض، لتمرير قوانين تحد من الحريات العامة، ولتصبح قوانين مواجهة خطاب الكراهية ومكافحة الإساءة، أدوات بيد هؤلاء الذين يقيّدون الحريات من جهة، ويتلاعبون بمصطلحي: حرية التعبير وخطاب الكراهية" كيفما أرادوا.

إن صناعة هذا الخطاب ساهمت، ولا تزال تساهم فيه، وسائل الإعلام بشتى أشكالها وأنواعها، والتي تحوّلت إلى منصات مملوكة بيد فئات معينة، تخدم مصالحها فقط، ونظراً لغياب المسؤولية القانونية، التي يمكن أن تتحملها وسائل الإعلام إزاء نشر كل ما له علاقة بهذا الخطاب، ولسهولة صناعة الحسابات والصفحات المفبركة ثم إغلاقها أو تركها، دون أن يتمكن أحد من معرفة من يقف حقيقة وراءها.

14. مناهضة الإسلام لخطاب الكراهية

الدليل في قوله تعالى:﴿ وقولوا للناس حسنا﴾ (سورة البقرة الآية:83) فقد حث الشّرع على انتقاء الألفاظ الطيبة الحسنة، لتشمل جميع الناس حتى المخالفين لنا في العقيدة؛ وفي ضمن النهي عن الكلام القبيح حتى للكفار﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة العنكبوت: الآية 46) ويدخل فيه النزاهة في القول فلا

يكون فاحشاً بذيئاً، هذا فيما نتخاطب به مع الآخرين، وينبغي للمسلم أن يتخير الكلمة الحسنة، لأنه مأمور بذلك، قال الله عز وجل:﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الإسراء: الآية 53)

يؤيد ذلك ما ذهب إليه ميشود في كتابيه: تاريخ الحروب الصليبية" و" رحلة دينية في الشرق" من أن القرآن الذي أمر بالجهاد، متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وقد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرَّم مُحَمَّد –عليه الصلاة والسلام– قتل الرهبان لعكوفهم على العبادات، ولم يمسّ عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، في حين ذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود بلا رحمة وقتما دخلوها؛ ومن المؤسف أن تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح، الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين.(لوبون، 2013، ص ص 137 – 138)

لذا فإننا نتساءل كيف ولماذا ومن ذا الذي يُغَذِّي خطابَ الكراهية في وسائل الإعلام ضد الإسلام والمسلمين. إن خطاب الكراهية تسبب في عدد من الكوارث والأزمات التي يعانيه منها العالم، والإعلام يتحمل جزءاً كبيرا من مسؤولية انتشار هذا الخطاب، بل إن درجة خطاب الكراهية في وسائل الإعلام، وصلت إلى حد التطاول على المقدسات الدينية، وعلى الله عز وجل وعلى رسله عليهم الصلاة والسلام، ووسائل الإعلام المختلفة هي التي تساهم في نشر الكراهية.(إدوارد، 2011، ص ص 37–39) وقد حدث مثلاً عام 2012 أن قام أحد الأشخاص في و.م.أ بنشر فيديو لفيلم بعنوان "براءة المسلمين" على موقع يوتيوب، يحمل إساءة بالغة للرسول عليه الصلاة والسلام، وتسبب هذا الفيديو في أعمال عنف معادية للو.م.أ في دول إسلامية

راح ضحيتها أكثر من 11 قتيل كان من بينهم: "ستيفينز" سفير أمريكا في ليبيا.(زهرة، 2011)

15. السبل المثلى للتعاطي مع خطاب الكراهية وآليات مواجهته:

أعجبتني حملة تفنيد الأساطير، التي تنفذها إحدى المنظمات في أوروبا تحت عنوان: "اختر الاحترام" وتتصدى للأساطير حول المهاجرين، وتهدف إلى ما تصفه بكسب المعركة الأخلاقية"، فأحد أخطر أدوات نشر الكراهية تكمن في نشر الأكاذيب والافتراءات، والتلاعب بالعقول وتزوير الحقائق، وبات هذا الأمر صناعة ضخمة تنفق في سبيلها المليارات من الدولارات ليس فقط لاستهداف الحكومات والدول ... بل في استهداف القيم الإنسانية والأخلاقية، وتصاعد هذا الخطاب في كثير من مناطق العالم، يحتاج لرؤية ثاقبة، بعيدا عن المثالية لمواجهته وامتلاك حرية الحركة، وآليات المواجهة المتوفرة عبر وسائل الإعلام البديل، للتصدي له كخط دفاع أول عن قيم الإنسانية، والإعلام بشقيه: البديل والتقليدي وبكل وسائله، قادر على تفكيك خطاب الكراهية ومواجهته، وتثبيت أسس خطاب التسامح وقبول الآخر.(إدوارد، 2011، ص ص 67-173)

ثمة طرق عديدة لمناهضة خطاب الكراهية في وسائل الإعلام ومن بينها.

- تقبل الآخر مهما كان مختلفا، تطبيقا لمبدأ التسامح، لأنه لا يعقل أن يعاتب الآخر على نمطية أفكاره، وتتبني الذات موقفا مغايرا لذلك، وعدم اختزاله، كما يفعل هو، في مجموع صور نمطية مشوهة.

- الآخر ليس في كل الأحوال هو العدو؛ فالآخر ليس هو الجحيم بالتعبير الفلسفي، لذا يجب أن نحرص على تنقية التراث الثقافي من عناصر الإقصاء والتهميش للآخر، وعناصر الطائفية والعنصرية ضد هذا الآخر.
- شرط العلاقة السليمة بين الأنا والآخر هو هذا الإدماج أو الإقحام للآخر في الأنا عبر تجربة الصداقة والتعاطف والحب. بناء على هذا المنطق التركيبي، فإن الصداقة لا تقوم على التباين المطلق أو التماثل المطلق، وإنما هي تركيب من التماثل والتباين.
- صياغة رسالة جماعية ذات معالم واضحة قادرة على مخاطبة الآخر وإقناعه بعيدا عن الخطابة ولغة التقريع والاقصاء.
- إدراك أن صناعة الكراهية، وإن كانت تتجلّى أكثر مما تتجلّى في الخطاب الإعلامي، إلا أنها مسألة ثقافية بالأساس، ولذلك فإن "المعركة" الحقيقية ليست مع تنميطات الوسائط الإعلامية، بقدر ما هي مع بنية ذهنية تحكمها تراكمات كبيرة. وعليه، فإن العمل على الحد منها يتطلب العمل على أكثر من جهة: الإعلام، المؤسسة التعليمية، مؤسسات المجتمع المدني، مراكز البحوث، وغيرها.
- تنظيم وضبط منشورات وسائل الإعلام؛ لأنّ أشهر القنوات يُمرّر خطاب الكراهية من خلالها، مما يجعل من تنظيم استخدامها، ونشر التوعية الأخلاقية حول الخطاب المستخدَم فيها، ضرورة وليس ترفاً.
- ضرورة وضع حد فاصل وواضح بين مصطلحي: "حرية التعبير وخطاب الكراهية".

- الإبلاغ عن منشورات وسائل التواصل الاجتماعي التي تنشر الشائعات والمعلومات الخاطئة.
- حظر المواقع الإعلامية الداعية إلى خطاب الكراهية، وإجبارها على الكشف عن هوية الأشخاص الذين يستخدمون هذا الشكل من الخطابات.
- تشجيع الباحثين والمؤسسات المعنية، بهدف القيام بأبحاث ودراسات علمية لرصد أفكار الكراهية في وسائل التواصل وسلوكها، وتحليل الظاهرة ومقارباتها.
- تحديد المسؤوليات الخاصة بمرتكبي خطاب الكراهية، ومزودي خدمات الإنترنت والمواقع الإلكترونية ومنصات التواصل الاجتماعي، ممن يضطلعون بدور الناشر والمروّج لها ومعاقبتهم.
- ضرورة وضع استراتيجية لوسائل الإعلام في كيفية التعامل مع معتقدات الغير، مع إعادة النظر في ما يسمى:" نظرية الحرية الإعلامية".
- الحوار مع الأخر والاستماع الواعي الحقيقي لأقواله وآرائه وأفكاره، لأنه وسيلة التواصل الحقيقية، بل الحوار سبيل التعايش والاعتراف بالآخر المختلف والمغاير، وجودا ورأيا وحقوقا.(محفوظ، 2012، ص 60)
- إدراك أن الآخر يفكر بطريقة مختلفة ويوظف مفاهيم ومصطلحات مغايرة، أو أنه يستخدمها بطريقة مختلفة، وعليه فإن الوصول إليه يتم عبر استيعاب الأبعاد النفسية والثقافية التي تشكل رؤيته وسلوكه.
- مسألة "حرية التعبير" تستدعي الانتقال إلى "الضفة الأخرى" ومعرفة كيف يتمثلها الآخر غير الغربي، وبعدها يمكن الحديث عن تحويل مسارها من أداة للقذف وإلحاق الأذى إلى عامل للإبداع والفكر.

خاتمة

رغم اتساع دائرة الحديث عن قيم التسامح وقبول الآخر، إلا أن الناظر إلى واقع العلاقة مع الآخر، يلحظ أن النظرة الإستعلائية الغربية لا تزال مهيمنة على مختلف بل واغلب وسائل الإعلام، وهنا تكمن "المفارقة"، إذ أن مساري الاتصال والتواصل يسيران في اتجاهين متعاكسين؛ إذ يخيّل لنا أنه كلما اتسعت دائرة الاتصال ضاقت دائرة التواصل خاصة بين الفضاءين الغربي والآخر خاصة الإسلامي. وحتى نتمكن من استيعاب هذه "المفارقة" ونفك رموزها، وجب علينا الرجوع إلى التاريخ، لأنه في اعتقادي أفضل معين على استجلاء كثير من حقائق الأمور وكشف خباياها.

فالقراءة المستفيضة والمتأنية للرؤية الغربية لغير الغربي عموما، وللمسلم خصوصا منذ العصور الوسطى إلى الوقت الحاضر، تظهر لنا أنها رؤية خطية (linéaire) في مجملها، أحادية، إختصارية، تلفيقية، والأهم من ذلك فهي دينية لاهوتية حتى وإن أدعت غير ذلك. ولا زالت تؤطر رؤى وتصورات الأفراد والمؤسسات؛ وصناعة الكراهية لا تزال تبعا لذلك مزدهرة، وعائداتها السنوية تتجاوز ملايين الدولارات ! ولابد من إدراك أن صناعة الكراهية وإن كانت تتجلّى أكثر مما تتجلّى في الخطاب الإعلامي، إلا أنها مسألة ثقافية بالأساس، ولهذا فإن المعركة الحقيقية ليست مع تنميطات الوسائط الإعلامية، بقدر ما هي مع بنية ذهنية تحكمها تراكمات تاريخية متتالية؛ وعليه فإن العمل على الحدّ منها يتطلب العمل على أكثر من جهة: الإعلام، مراكز البحوث، القانون، وغير ذلك ...

بما أنه لا يمكن فصل جوهر المشكلة عن النواحي الأخلاقية والدينية، فعلى عاتق الإعلاميين تقع مهمة تحديد السياق وتفكيك تلك الروايات المسيئة، والبحث لفهم

دوافع الكراهية، حين تقوم لغة الإعلام بنشر خطاباتها المسمومة في كل مكان باسم حرية التعبير. وإن التعايش والتسامح لن يتحققا سوى عبر نبذ لكافة أشكال الكراهية ومظاهرها، ومع أن السلطات الحاكمة تتحمل المسؤولية الرئيسة عن منع التحريض، فمن واجب الجميع العمل على وقف خطاب الكراهية بأمرين: أحدهما توْعويّ والآخر قانوني؛ لكن مع ذلك لا تزال بعيدة عن الساحات التي ينتشر فيها هذا الخطاب ويتمدد، وقد بقيت حبيسة لقاءات وحوارات المثقفين الذين يصنعون تأثيراً مباشراً بدرجات متفاوتة على صناع القرار السياسي في دولهم، لذلك لا نرى تأثيراً مباشراً لهم في الرأي العام، سيّان في إعلام دولهم، أو في إعلام المجتمعات التي يتمدد فيها خطاب الكراهية، لتبقى المساحة كبيرة بين الواقع الذي يتمدد فيه خطاب الكراهية، وبين القرارات الحكومية التي تمنع انتشاره على استحياء؛ ليبقى التساؤل الأهم مطروحا: كيف يمكن مواجهة مضامين الكراهية التي تروّج لها وسائل الإعلام ؟ وما سبل التصدي للخطاب الإعلامي الغربي الموبوء بكراهية الآخر؟. فهذا هو سُعارُ وسائل الإعلام، بتأجيجها اللاّمتناهي لخطاب كراهية الآخر، الذي يشبه خطاب وسعارَ أمّ أنمار؛ وتلك حكاية أخرى من ترثنا المجيد وتاريخنا التليد.

قائمة المراجع:

قرآن كريم.

إدوارد، س. (2011). **تغطية الإسلام**. ترجمة: مُحَمَّد كرزون. دمشق: دار نينوى للأبحاث.

الأمم المتحدة. (1966). **العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية**. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 2200 ألف (د-21). المؤرخ في: 16 كانون/ ديسمبر 1966. تاريخ بدء النفاذ: 23 آذار/مارس 1976. وفقا لأحكام المادة 49. متاح على الرابط: https://goo.gl/dwRNIC

الأمم المتحدة. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وثائق الأمم المتحدة. متاح على رابط: http://www.un.org/ar/documents/udhr/index.shtml#a

الرحامنة، ن. (2018). **خطاب الكراهية في شبكة الفيسبوك في الأردن. دراسة مسْحية.** رسالة ماجستير في الإعلام. قسم الصحافة والإعلام، كلية الإعلام جامعة الشرق الأوسط. الأردن.

زهرة، و ح. (2014). **إني أكرهك خطاب الكراهية والطائفية في إعلام الربيع العربي.** عمان: مركز حماية وحرية الصحفيين.

سيوي، ع ر. (2015). **تقرير رصد خطاب الحق والكراهية في عينة من الصحف المغربية المكتوبة.** المغرب: مرصد الإعلام في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، ومبادرة The Network. متاح على الرابط: https://bit.ly/3bVtZrH

لوبون، غ. (2013). **حضارة العرب.** ترجمة: عادل زعيتر. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم.

محفوظ، م. (2012). **ضد الكراهية من أجل تفكيك خطاب الكراهية في العالم العربي.** بيروت: المركز الإسلامي الثقافي.

مركز هردو. (2016). **خطابات الكراهية وقود الغضب، نظرة على مفاهيم أساسية في الإطار الدولي.** القاهرة: مركز هردو لدعم التعبير الرقمي. تاريخ الاطلاع: 11 مارس 2021. متاح على الرابط: https://bit.ly/3us5qsx

معتوق، ج. و شريهان، ك. (2012). **دور شبكات التواصل الاجتماعي في صقل سلوكيات وممارسات الأفراد في المجتمع.** ملتقى دولي حول شبكات التواصل الاجتماعي والتغير الاجتماعي. بسكرة. الجزائر.